بسم الله الرحمن الرحيم - مكة المباركة - في ١٤٣٤/٩/٧هـ

(فخازي القصيبي يتقفى إلى ربه الوسيلة بالإيمان)

يا عالم الغيب ذنبي أنت تعرفه ... وأنت تعلم إعلاني وإسراري
وأنت أدرى بإيمانٍ مَنَنْتَ به ... عليّ، ما خدشته كلّ أوزاري
أحببتُ لقيالك، حُسْنُ الظنّ يشفع لي ... أيُرتجى العفوُ إلّا عند غفّار؟

هذه أبيات ناجى بها فخازي ربه بعد بلوغه الخامسة والستين من عمره رحمه الله وبدّل سيئاته حسنات، وأحسن إليه كما أحسن إلى بلده وولاة الأمر فيها وأهلها.

وعن هذه البلاد والدولة المباركة التي جدّد الله بها دينه ثلاث مرات قال:

ويا بلاداً نذرتُ العمرَ، ذكريَه ... لعزّها، رُمْتُ، إنّي حانَ إبحاري
تركتُ بين رمال البيد أغنيتي ... وعند شاطئك المسحور أسماري
إن ساءلوك فقولي: لم أبعْ قلمي ... ولم أدنّس بسوق الزيف أفكاري

قلتُ: صدقتَ، ليتها قد تلك الألوف المؤلفة التي نذرتْ حياتها للضحالة والضياع، وخيانة الأمة.. أئمتها وولاة أمرها وعامتها، السمّاعون لكذب الخوارج المهاجرين إلى بلاد الكفر من خير بلاد المسلمين والمقيمين فيها يأكلون خيرها ويحمدون غيرها ويشيعون قالة السوء، لئلا يُشكر الله ولا خلقه بما تفضل عليهم وعليهم.

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربّه: «لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم أتيتني لا تشرك بي شيئاً أتيتك بقرابها مغفرة».

وصدق فخازي رحمه الله: «لم يبعْ قلمي بمال ولا بمنصب ولا بجاه ولا بمتاع»؛ فلا أعرف له نِدّاً في تقريض نفسه لمفارقة خير منجزاته الإدارية في الوظيفة الحكومية يوم نشر قصيدته النادرة: (رسالة المتنبي الأخيرة إلى سيف الدولة)، وأشهد لله شهادة حقّ أنّ من قال القصيدة ومن قيلت فيه خير من المتنبي ومن سيف الدولة ديناً ودنيا.

ولا أعرف لفخازي القصيبي نِدّاً في وقفته الشجاعة الثابتة شاهراً قلمه في وجه الاعتداء السافر والظلم والجور والفجور سواء سُمّي بعثياً أو قومياً أو علمانياً أو ملحداً على دولة الكويت.

ولكن (من يقنع الثور أنّك عنتر؟) عندما قال فخازي رحمه الله:

أُغالِبُ الآلامَ مهما طغَتْ ... بحسبيَ اللهُ ونِعمَ الوكيلُ
فحسبيَ اللهُ قَبيلَ الشروقِ ... وحسبيَ اللهُ بَعيدَ الأصيلُ
وحسبيَ اللهُ إذا أسْبَلَتْ ... دموعُ عينِ الفقيرِ العليلُ
يا ربِّ أنتَ المرتجى سيّدي ... أزِلْ لحَظواتي سواءَ السّبيلُ
قضيتُ عُمْري تائهًا، ها أنا ... أعودُ إذ لم يبقَ إلّا القليلُ
اللهُ يدري أنّني مؤمنٌ ... في عمقِ قلبي رهبةٌ للجليلُ
أنا الشريدُ اليومَ يا سيّدي ... فاغفِرْ إلهي لعبدٍ ذليلُ

قال الجاهل (وتبعه بعض طلاب العلم): يتوب ويطلب المغفرة؟ هذا دليل على صحة اتهامه بالعلمانية وما دونها. قلتُ: فكيف به لو استغفر ربه في اليوم سبعين مرة وتاب إلى الله مائة مرة كما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم؟

أعرفه وقد حصل على مستوى من العلم الشرعي خارج ما تقدمه أو تطلبه دراسة التخصصية.

وأعرفه وقد كان برًّا بمكتبي الدعوة في بلدي سفارته: البحرين وانكلترا بما يتجاوز طلبهما أو حاجتهما، وأكثر مما أطلب لنفسي أو أعطيه غيري لو كنت مكانه.

وزرته أثناء عملي في البحرين مع أخي د. سعد السعد مدير مكتب الدعوة في البحرين سابقًا، فوجدته كدّس نسخًا من تفسير محمد أسد رحمه الله باللغة الانكليزية لإهدائها للزوار غير العرب، وعندما احتل حزب البعث العراقي وطاغوته صدام حسين الكويت وأساء جرت المملكة المباركة القوات الدولية للاستعانة على تحرير الكويت طلبت منه ما يتيسر له من كتاب محمد أسد (الطريق إلى مكة) للإهداء وعرضه في مكاتب قادة القوات فأرسل لي عشرات النسخ ثم عززها بعشرات على حسابه عوضه الله الجنة، وأعانني الفريق مرتضى الشهراني جزاه الله خيرا الحزاء على وضعها في المكان المناسب للاستفادة منها.

وعندما عُيِّن وزيرًا للصحة أعطى كل مريض مصحفًا ووضع لافتات يراها المرضى في كل مكان من المستشفيات تحمل قول الله تعالى: ﴿وإذا مرضت فهو يشفين﴾، وأدخل القرآن في علاج الأمراض النفسية.

وعندما لجّ الخوارج في اتّهام ظالماً وعثمان بالعلمانيّة غضباً لسخريته من أشرطتهم المخذّلة عن مقاومة العدوان البعثي الصدّامي والمربّجة للأحداث سفهاء الأحلام على دولة التوحيد والسنّة (أمراء وعلمائها) في زمن الحرب (حرب الإلحاد والوثنيّة القبوريّة للحقّ والعدل)؛ كتب كتابه: (حتى لا تكون فتنة)، وأشفق في أيدي الخوارج المتعالمين إذ قابل تشنّجهم بأسلوب لم يخل من المرح، وقابل فكرهم بنصوص الكتاب والسنّة وفقه عمر رضي الله عنه وأبي حنيفة والشافعي وابن تيمية وابن القيّم، وليته اكتفى برأيهما قال المحمصاني وفوقه محمد رشيد رضا رحمهم الله جميعاً، وتأدّب بما أدّبه به ربه فخاطبهم لما لو كانوا علماء لا متعالمين، مع أنّ الكتاب يبيّن أنّه أقرب منهم إلى الفقه فضلاً عن فهم مصطلح العلمانيّة. وبدأ بخبرهم وأقربهم إلى المعلم الشرعي (بعد محاورته الألباني وقبل تحوّل الفكري) فقد أدلّ على علمانيّة القصيبي من أقواله في جريدة الشرق الأوسط، مثل قوله: (لا جدال حول الشريعة، لا تحليل لما حرّمت ولا تحريم لما حلّلت، وما عدى ذلك من أمور يظلّ قضيّة مفتوحة للنقاش).

وقال متّهماً بالعلمانيّة: (بعض السذّج يقول: صحيح أيّ أمر يتعلق بالشريعة غير قابل.. في الكتاب والسنّة خلاص، أما غيره فهو قابل للنظر كما يقول كبيرهم الذي علّمهم السحر.. لازم يريدون أن يأتوا في النرويج بقصايا ما وردت في الكتاب والسنّة).

وردّ القصيبي بأنه لا يجوز للحاكم على ما في الصدور، وأنّ ما لم يوجد في الكتاب يبحث عنه في السنّة، ثم الإجماع، ثم القياس، ثم الاستحسان، أو المصلحة المرسلة أو العرف أو الاستصحاب أو شرع من قبلنا أو مذهب الصحابي أو الاجتهاد من القادر عليه.. وكلّ ذلك مستقى من الكتاب والسنّة).

قال متّهماً بالعلمانيّة: (ومن أساليبهم ومبادئهم ما يسمّى بالحوار، وهو خطير خطير خطير).

وردّ القصيبي: (أنت تؤمن بالمجادلة بالتي هي أحسن؟ إذاً يا أخي لا تحاورنا، جادلنا بالتي هي أحسن، وهل اتّهام المسلم بالعلمانيّة [وهي الكفر] من المجادلة بالتي هي أحسن؟ فكيف تكون المجادلة بالأسوأ؟ بالقتل؟ ومن أدلّة متّهم على علمانيّة قوله: (حيّيت قضيّة السلفيون ولكن قضيّة

البرامج الملائمة للعرض تبقى مفتوحة، وحُسِمَتْ قضية تعليم المرأة وعملها ولكن قضيّة المناهج والوظائف الملائمة للمرأة بقيت مفتوحة.

وردّ القصيبي بأنك أنت ملأت شريط نفسك (السّكينة السّكينة) بالشكوى من برامج التلفزيون، وقلت عن مناهج التعليم العام: إن عليها مآخذ، ومناهج الجامعات فيها خلل كبير، أتريد هذه القضايا مفتوحة لك مغلقة عليّ؟

وتحوّل الارتجام بالعلمانيّة عن القصيبي بمفرده إلى الدّولة كلها بدليل نظام المرافعات والمحاكم المتخصّصة.

وردّ القصيبي نيابة عن الأمّة: (يا أخي اتّق الله ولا تتّهم الدولة الوحيدة التي تلتزم بشرع الله وتقيم حدود الله بالعلمانيّة فتطعن في العقل، لقد أعزّنا الله بكلمة التّوحيد ومكّننا من بناء دولة التّوحيد، وآوانا وأيّدنا بنصره ورزقنا من الطّيّبات، فاتّق الله ولكن من الشاكرين).

وقالوا: (كذب القصيبي عندما قال: لمدّة الفتوى تتغيّر بتغيّر الزمان).

وردّ القصيبي بأدلّة عامّة من الكتاب والسّنّة وأثر عن عمر رضي الله عنه وعن ابن تيمية وابن القيّم رحمهما الله، وبنقل خاصّ عن القرافي من (الإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام).

وقال بعضهم: إن من يقول بتغيّر الفتوى ينقض عرى الدّين، وقال غيرهم: لم يقل أحد قبل القصيبي بتغيّر الفتوى.

فنقل فصلاً عنوانه: (في تغيّر الفتوى واختلافها بحسب تغيّر الأزمنة والأمكنة والأحوال والنّيات والعوائد) من أعلام الموقعين لابن القيّم رحمه الله، أورد فيه سبعة أمثلة لتغيّر الفتوى بتغيّر الزّمان والمكان والحال.

وقارن القصيبي بين قول كبير الخوارج وقول الخميني:

قال الخميني: (لا نريد لشبابنا أن يتصوّروا علماءنا يدرسون مسائل الحيض والنّفاس بدلاً من التركيز على السّياسة).

وقال الخارجي: (ما قيمة العالم إذا لم يبيّن للناس قضاياهم السّياسيّة؟ أتريد من العالم أن يبقى محصوراً فقط في أحكام الحيض والنفاس؟

وأشار القصيبي إلى التّشابه بين ثورة الخميني في إيران وثورة الخوارج في القصيم:

١) كان شريط الكاسيت أمضى أسلحة الثورتين.

وكان هدف كلٍّ منهما: إسقاط دولة علمانيّة وإحلال حكومة إسلاميّة محلّها.
وقامت حركتهما على دعوى: الجلد بقيادة فقهاء سياسيّين.
وبدأت الثورة هناك وهنا بالتّهييج والتّحريض ثمّ التجمعات ثمّ العصيان.
وكتبتُ للقصيبي أنّاه عن مقابلة (السّوء (العلمانية) بالسّوء (الخمينيّة) مع أنّي أعلم أنّ كبير الخوارج قد حاول تشجيع الشباب (بل الشايبات) على الثورة بصراحة متمثلاً بتمرّد (بليتسن) في روسيا ونجاحه (بلا رصاصة واحدة).
فردّ بمرحه المعهود: هذا ما ظهر لي من أشرطتهم، وقد أكون مخطئاً بمثل خطأ ركاب الأتوبيس في مصر عندما أضرب سائقوا النّقل العام فأرسلت ثورة الجيش سائقيها مكانهم والشائع عند النّاس أنّهم قاصدون، قال الراوي: قاد أحدهم أتوبيساً فارتكب عدّة مخالفات والتفت خلفه إلى الرّكاب معتبراً صمتهم انقاداً له، وقال مفضياً: إيه، لهو أنا سقت غلط؟
فأجابوا بصوت واحد: العقوبابيه، يمكن احنا اللي ركبنا غلط.
رحم الله غازي القصيبي، لقد خالفته فيما ظنّته ميلاً قوميّاً عربيّاً، وأنا أصدّق كلام (بكر أبو زيد) رحمه الله في القوميّين العرب أنّهم - دنيوياً - أسوأ من سلفهم في الجاهليّة أهل النّخوة والشجاعة والحميّة والكرم والشرف.
ولكني أستثني غازي القصيبي رحمه الله، فهو كما قال إدريس شقرائد في تعليقه على خبر موت جمال عبد النّاصر تجاوز الله عنه: كان رجلاً أحبّه كثير من النّاس، وكان رجلاً كرهه كثير من النّاس، ولكنّه كان رجلاً. والقصيبي كان رجلاً أعطاه الله بسطة في الجسم والعلم والعزم والحلم والكرم والشجاعة، لقي ربّه وهو يلاحي بدعائه وذكره والثّناء عليه والتوبة إليه وشكره على ما منّ به عليه من الإيمان فوق كلّ نعمة وفوق كلّ نقص، وبقيت نعم الله تعالى عليه بالإنجاز في التعليم الجامعي والكهرباء والمدن الصّناعيّة، والصّحّة، والسابك، وجمعية رعاية الأطفال المعوّقين، وجمعيّة البرّ، وانتصاره النّادر للأمّة وولاة أمرها وأفرادها في فتنة احتلال البعث العراقي الاشتراكي (وطاغوته صدّام الدّين والدّنيا) دولة الكويت وتهديده بقيّة دول الخليج، فكان قلمه عزاءً يوميّاً للمظلومين وسلاحاً ماضياً في قلوب المجرمين الظالمين ومن أيّدهم وفرح بجريمتهم من الموصوفين زوراً بالإسلاميّين فحمى دورهم من العلمانيّين والقوميّين، جزاه الله خير الجزاء ولا